

دما من محاصرة بورت ارثور هذه فان حصار (بليننا) الشهير بانه أهرق فيه دم أكثر من غيره قد صوره بألبويه المصور العظيم سي الحظ (فريشاجين) الذي ذهب الى قاع البحار خارج بورت ارثور مع الاميرال (مخاروف) يحفظ تذكراً الى الذرية ولكن لو كان عاش هذا المصور الى ما بعد ان شاهد آخره بورت ارثور لكان رسم مناظر دموية أعظم منها ولقد عبر المستر (جورج كنان) مكاتب جريده (أوت نوك) الشهير عن هذه المحاصرة بأنها قطعة من الجحيم الأسفل وجدت في مسكننا الارضى هذا ومع ذلك كل هذه المناظر العظيمة كانت لازمة لأهمية بورت ارثور نفسها الحربية أما كيفية محاصرة بورت ارثور ومهاجمتها فجوابه هو مركزها والغرض من هذه المعجالة هو الحصول على تفسير قصير عن أهميتها فى ليلة نزولنا البر فى ليانويج سمعنا دوى صوت الموقعة الحاصلة حول (نانشان) المدخل الوحيد الى بورت ارثور وانرجع الآن الى موقعة نانشان هذه

الفصل السابع

موقعة نانشان

كان رعد المقذوفات يزداد قوة كلما تقدم الوقت فى اتجاه (نانشان) فكيف كانوا يحاربون هناك ياترى ؟ وكيف كان الثبات والشجاعة اللذان رأهما أخواننا هناك ؟ وهل تم الاستيلاء على المرفع أم هم لم يزالوا يحاربون حوله . فيلزمنا أن نسرع الى هناك لنشترك معهم فى أول الوقائع وهى فرصة

عظيمة - ومتى نؤمر بالمسير؟ وهكذا كنا غير صابرين وقلقين وأفكارنا تتسابق نحو نانشان

ولكن من جهة أخرى هل الاورطة التي تتبعنا تم انزالها للبر بسلام أم لا اذ ان الميرالاي لم يكن في قبضته الا خمسمائة رجل فقط وهي قوة ضعيفة بالمرّة فهل بخاطر قائدنا بهذه الشرذمة من الرجال فوجه المهموم كان يظهر عليه أنه لا يمكنه أن يأخذنا في الحن الى المحاربة وقد كنا نشاهد الموقعة على بعد كما لو كان حريق في الشاطئ، الآخر من نهر وغير ممكن أن يقدم له أي مساعدة ولذا ابتدأنا نشعر بالخيبة ولكن في الحقيقة أن المنتظر أن يكون الحرب طويلا وان الستار رفع الآن فقط و (نانشان) هذه لم تكن الا أول فصل و كنا في غاية الضجر حرصا على ان نكون في الموقع ومع ذلك لم نقابل العدو ونسمع صوت الموقعة ومع ذلك لم يمكن الاشتراك فيها الا أن الصبر مفتاح الفرج فلقد اتتنا الاوامر الآتية : « كن تحت أمر الجرال أو كوقائد الجيش الثاني وأسرع الى (نانشان) » وهذا ما فاه به اميرالاي ناوهو ملاّن سرورا وتشوقا وصوته يرن نشاطا وحماسا وكذلك جميع الجنود والضباط رحبوا بالاوامر كأنها سماوية وكانوا زيادة عن استعدادهم للتقدم يمشون بسرعة فكنا نفتح خطواتنا على قدر الامكان فكنا نركض ونمر على قرية بعد قرية وحقل بعد حقل غير شاعرين بمدد الاميال التي تقطعها ولفكرة ان العدو محتبى امامنا كنا لا نشعر بأي ألم أو تعب ولقد جعلت نفض العرق الممزوجة بالتراب على اوجهننا ستارا ولكن هذا ليس بشئ وفرغت زمازمننا من المياه وكانت افواهنا جافة من الريق وكنا كمختنقين ومع ذلك لم يتأخر أحد

من الصف اذ كنا جميعا ننظر نحو موقع العدو راكضين نحو اتجاه صوت المدافع التي انستنا كل تعب وصموبة وام
هل (نانشان) لم نزل تقاوم ؟

هم الآن في مععة القتال اسرعوا يارجال

وهذه كانت المحادثات الاعتيادية التي تسمع بين الحمالين الراجعين من (نانشان) والجنود المتوجهين اليها الآن - وكنا نسمع هذه الكلمات بوحشة اذ كنا نريد أن لا تسقط (نانشان) قبل وصولنا وكان يتخيل لنا انه بدون مساعدة رجال جدد مثلنا يفنى من رفاقنا رجال كثيرون قبل احتلال الموقع ولما رأينا في طريقنا ضابطين أو ثلاثة اسرى متوجهين تحت حرس الى رياسة أركان حربنا كنا نصف مسرورين للحصول على أرل منظر للعدو المهزوم ونصف خائفين ان تكون سقطت (نانشان) وأنى أريد أن أبين باختصار انه يوجد فرق عظيم ظاهر في الجيش بين الشئ الممكن أن يسمح به للجنود والذي لا يمكن أن يسمح به في أى حالة فالسير في وقت السلم تكون الراحة فيه كثيرة والغذاء وافر ومسموح به على قدر الامكان ولكن عند مسيرنا للقتال الخفيف يقل الغذاء والماء وتقاوم كل عاصفة فالجندي يحمل جربنديته وثقائها نحو المشرة أوقات ومعه زمزمية واحدة مملوءة ماء للشرب التي عند ما يفرغ الماء منها لا يمكنه الحصول حتى على نقطة ماء ومن وقت الى آخر يستريح وينام في معسكر ميدان ولو كان المطر غزيراً والعاصفة تزدأ فغير مسموح له أن يستظل تحت سقف منزل فالتعب أو الالم لم يكونا من أسباب الاستثناء حتى ليس عنده وقت لمسح عرق وجهه الذى يبيض بمد قليل وقد يحارب

وهو جاهد ومختنق ويظهر للانسان أن خضوع الجنود لهذه المحن من القساوة ولكن ليعلم أن تضحية كل شيء لتأدية الواجب سهل . حتى من الواجب عدم تعيب جندي أو فقد بندقية في خط النار . وبعد مسير صعب مثل هذا يدخلون لطيب الحرب حالا وعلى ذلك أنحلت نظرية نجاح أو خذلان الجيش في عملنا أثناء السير ومن هنا يتبين جليا مقدار أهمية تدريب الجنود في وقت السلم على السير بدون ماء أثناء الليل والمشى السريع وكان يظهر ان هذه التمرينات متممة وبدون جدوى في ذلك الوقت ولكن قيمتها تظهر جليا عند حصول حرب حقيقي

وانرجع الآن الى سيرتنا الاولى فقد كنا نعدو بكل حماس غارقين في بحار الافكار نحو محاربة (نانشان) الاولى ولما قربنا من غرضنا نظرنا خياما منشورية الشكل منصوبة تحت الاشجار وعلى جوانب التلول وهي خيام مستشفيات ميداننا وان هذا العدد الكبير جعلنا متعنين كثيرا بنتيجة المحاربة وكانت للنقالات تأتي الواحدة بعد الأخرى وعليها جرحى جدد ثم تقفل راجعة بسرعة لخط النار باحثة عن آخرين اما الجرحى الذين يمكنهم المشى فكانوا يرافقون النقالات على أرجلهم وهم عدد كبير يجهدون طول الطريق وكان كل المحمولين على النقالات أو الماشين مغطين بالدماء والطين وذلك دليل واضح على أهمية تاريخ محاربتهم الباسلة وجهادهم الصعب وكانت اربطتهم البيضاء الملائخة بالدم الاحمر تغطي جروح الشرف وكنا نشعر ان النقط الدموية انى نتساقط من النقالات تكسب الارض مجداً وكان هذا المنظر لم يملأنا الا احتراماً ووقاراً لا يمكن تعبيره وكان لا يسمعنا الا أن نتهدأ اجلالاً وشكراً وفي

ذاك الحين رجع الياور الذي توجه الأمام لاستلام الاوامر وأخبر أن (نانشان)
 سقطت وان على الامداد جميعه أن يعسكر بالقرب من (شونجشيان) ومنتظر
 أوامر أخرى فيالها من خيبة و كنا نشعر من القائد الى السائس بانكسار قلوبنا
 وبأسنا وقد ضربنا اذرعنا التعبه ورفسنا الارض بارجلنا وسقوط (نانشان)
 السريع (وهي النقطة التي يفرضها العدو مفتاح بورت ارثر) ذو فائدة
 عظمى لتصميم حربنا في المستقبل وكان يلزمنا حينئذ أن نسر لهذا النبأ وقد
 سررنا بالفعل ولكن لا يمكن أن نلام على خيبتنا هذه عند ما نفكر أننا
 أسرعنا باستمرار من نقطة نزولنا البر بدون وقوف حتى لتتنفس كل ذلك لنعلم
 عند وصولنا الى نقطة غرضنا أن نتيجة كل مجهودانا حازها آخرون وكان
 يوجد تل واحد فقط أمامنا وبعدة توجد مجارى من دماء وتلال من جثث ولما
 وصلنا الى ذلك المكان وقف دوى المدافع المصم في الحال والجبال والوديان
 رجعت الى سكوتها القديم أما الشيء الوحيد الذي كنا نشاهده هو ارسال
 المجارح المستمر للخفاف وكنا نعزيهم ونشكرهم كلما قابلناهم وقد استرحنا
 في أسفل التل وهناك كان يقص علينا سائس حضر الموقعة بكل اعجاب هازا
 رأسه ومادا ذراعيه معبراً كقصاص حقيقي وكانت قصته هذه تهمننا
 كثيراً ثم أرانا زمزمية كانت لجندى روسى وكان يتكلم كأنه هو الذى
 هزم العدو بنفسه ونحن الذين لم نعلم بتادقنا لهذا الحين ولم نخرج سيوفنا
 من غمدها كنا نشعر بالخجل حتى أن هذا الرجل الغير محارب كان يظهر في أعيننا
 أنه بطل صنديد وقد امتدحناه وصرنا نسأله السؤال بعد الآخر متشوقين
 للوقوف على أخبار هذا الانتصار أما نحن جميع الامدادات التي كانت تحت

امرة الجنرال (اوكو) رئيس الجيش الثاني العام فأمرنا أن نمضي الليل في (شنجياتون) فاضطررنا حينئذ أن نرجع للخلف نحو أربعة أميال على نفس الطريق الذي جئنا منه فاثقل روحنا في السير للخلف فقد طأطأت جميع الرجال والحيول رؤوسها ماشين بكآبة وكان التراب الاصفر المرتفع من الأرض يحمل منظرنا كالبودن المعطى بدقيق الفول الاصفر وكتامة سيرنا السريع ليلا ونهاراً للامام تفكر في (نانشان) فقط ولذلك كنا لانشعر باى ألم في سيقاننا ولكن انعكست الحال عند الرجوع وحتى في المناورات في وقت السلم كانت أصوات المدافع والبنادق تنسينا الآلام التي بأقدامنا وتعب أجسامنا وتغير سيرنا من خطورة عادية الى جرى وتحملنا على مهاجمة العدو بغيره حماسية ولكن عندما نرجع للخلف تبتدئ أقدامنا أن تكون ثقيلة في الحال فكل عثرة أو مماسة كانت تستشيطنا غيظا لاننا كنا بدون نشاط اودروح وهذا يمكن ان يحصل من الاخلاق اليابانية وهي الفكرة في التقدم الامام فقط بدون أن نتقهقر بالمرّة فالروسيون أساندة في التقهقر ولكن اليابانيون غير متمرنين عليه بالمرّة ولذا اذا ابتدأ اليابانيون في التقدم لايهزمهم الروسيون أبداً واننا ورثنا عادة عدم تعلم التقهقر حتى امام الموت الحقيقي من آباءنا وتقوت هذه الوراثة بالنظام الحديث وانصرنا المستديم على هذا العدو العنيد لهو من خاصيات تلك المادة ولقد وصلنا أخيراً الى (شنجياتون) وهي قرية خربة يمر بها جدول صغير وفي تلك الليلة كان القمر محجوباً والنجوم قليلة كأن الطبيعة كانت تشارك هؤلاء البؤساء الخائبين الضباط والجنود في الشعور الذين انهكهم التعب النائم على قش الذرة وهم حزاني على هؤلاء الذين ماتوا في

موقعة ذلك اليوم ولقد كان يرى هنا وهناك رجال غير قادرين على النوم الا قليلا في آخر الليل وهؤلاء كانت قلوبهم ملامى بانفعال نفساني جديد فالحدأة كانت تعدو في كبد السماء صارخة صوتا أو اثنين قصيرين وكنت ترى بعض الرافدين يترنمون بيمض اناشيد يوا (قانون الموسيقى الياباني) فما كان أوحش تلك الليلة وتأثيرها على نفوسنا - وعلى ذلك لم يمكني أن أشارك في موقعة (نانشان) ولذا لم يكن من حقي أن أذكر تاريخ هذه الموقعة العنيفة مع ان عنوان هذا الفصل يمكن أن يطالني بحديث تفصيل عنها ولكن الشيء الوحيد الممكن عمله هو أن اشرح لكم في الفصل الثاني ما شهدته في ميدان القتال بعد حصول الموقعة مباشرة وسأتبع ذلك في الفصول التالية له بتاريخى الشخصى فى حصار بورت ارثور وقبل انتهاء هذا الفصل أريد ان أقدم الى قرأى جنديا باسلا وهو عند ماشينا الى (واشنجشياتونج) أرسلنا رسالة عجلة بايسكل اسمه (بوشى كوسونوكى) الى محل نزولنا لعمل مواصلات بيننا وبين من نزلوا بعدنا وهذا الرجل كان معروفا بأنه صالح لتأدية هذه الخدمة خاصة بعناية وبسالة وكان دائما ينجح فى عمله فلما تركنا اليابان كان الوحيد الملحق من بلوكة كمراسلة برياسة آلاينا وكان عليه تأدية هذا الواجب الصعب طبعا بعد نزولنا وقد تكاف بأن قام متأخرا بعد ظهر يوم الى (بنتاؤو) على عجلته ولما كان السهل الذى مررنا به الى (وانجشياتونج) بدون طريق كان المنتظر أنه لا يرجع الى (بنتاؤو) الا بصعوبة كبرى فكان يمشى فى أرض غريبة غير عالم بأى شيء منها أو من لغة ما كتبها ودليله الوحيد النجمة القطبية أما واجبه هذا فكان عظيم الأهمية اذ لو وصل حتى الى غرضه

متأخرا ساعة واحدة لضاع وقت كبير في تحرك الانقسام الاخرى وزيادة على ذلك فانه كان غير عالم ان (نانشان) ستسقط بدون مساعدتنا بل كان يعلم فقط ان آلاينا كان في الامدادات وواجهه السرعة في الوصول حتى يتيسر له ان ينضم الى خط القتال سريعا و (كوسوتيكى) هذا كان واسطة المواصلات الوحيدة التى بواسطتها يمكن الجمع بين القسمين المنفصلين من آلاينا وعند قيامه اخبر باعتناءه عن المسئولية التى يتحملها ولكن سير نحو عشرين ميلا فى سهل (لياوتنج) ليس بسهل فمجلته بدلا من أن تكون عوننا له صارت ثقلا عليه لأنه كان يحملها على ظهره ويجرى ولقد ضل ولم يجد المحل المقصود طول الليل وعند الفجر تمشم أن يعرف محل وجوده ولكن كان ذلك عبثا وكان يجاهد بدون أكل ولا شرب أن يعرف اتجاهه معملا النفس بان يكون له حظ فى الوصول الى غرضه ولما كان فكره فى غاية الاضطراب صار يحبو على الاربعة مستريحا من وقت الى آخر اذ ان سيقانه صارت لا تتحملة وخصوصا وعجائه على ظهره ولكن لحسن حظه قابل عارضا يد يد بانا (خفير اجنديا) فدله على الطريق وانحفه ببعض الطعام وبذلك صار ممكنه ان يتم خدمته ولو انه أتى متأخرا

وليس المراسلة مسئولاً فقط ولكن الياور مسئول أيضا أكثر من الجنود المتأداة إذ الفائد يعتمد على رجل مثله فى تحرك العشرة آلاف من الرجال بسهولة بل لو كان يحرك أصابع يده فنجاح أو خيبة جيش باجمعه متوقف غالبا على خدمة المراسلة والياور وعلى ذلك يلزم أن يكون حائزا على الاربع الصفات المهمة وهى الشجاعة والعزيمة والتميز والحكم السريع

و(بوشى كوسوتوى) كان مراسلة صادقا مع شجاعة و اخلاص يستحقان
احترامنا العظيم

الفصل الثامن

نانشان بعد الواقعة

ان (نانشان) تحرس (كينشو) فى مدخل بحيث جزيرة لياوتنج ومع
كون طولها ليست حادة الميول ولا وعرة الا انها ممتدة للخلف الى الامواج
العميقة فالمرجع مناسب للاغراض الدفاعية ولكنه أقل من هذه الوجهة من
(نانكوا نانج) الكائنة بعيداً الى الخلف وفى الحرب الصينى اليابانى قاومنا
الصينيون مدة فى (نانكوا نانج) هذه أما السبب الحامل للروسين على أن
يفضلوا أن يستحكموا فى (نانشان) عن (نانكوا نانج) هو أن الاولى
أقرب من (دالى) ميناهم الوحيدة التى لا تتناجج وكانوا قد اختاروا موقعا
على الشاطئ المقابل (لليونشوتون) طرف السكة الحديدية فى رأس خليج
(تالان) وبنوا هناك مدينة (دالى) الكبيرة متخذينها ميناهم الوحيدة
التجارية فى (لياوتنج) ونقطة ابتداء سكة حديد الصين الشرقية ولحماية هذه
المينا انتخبوا (نانشان) خلفها وبنوا بها استحكامات نصف دائرية وقد انفقوا
مدة عشر سنوات العشرات المليون من الجنيهات لتشييد هذه المدينة وتحصين
بورت ارثور ولتقوية نقطة (نانشان) هذه الامامية وقد قال لنا ضابط أركان
حرب روسى اسير ان الروسين كانوا يعتقدون أن نانشان تقاوم أعنف